**جامعة الفيوم** **الفرقة : الأولى(أصليون)**
**كلية دار العلوم** **انتظام \ انتساب**
**قسم البلاغة والنقد والأدب المقارن** **ثلاث ساعات**
**الاختبار النهائى للفصل الدراسى الأول للعام الجامعى ٢٠٠٨/٢٠٠٩**

# المادة : مدخل إلى البلاغة والنقد الأدبى

---

**المجموعة الثانية** **الدكتور وليد سعيد الشيمي** **(عشر درجات)**
**السؤال الأول:** **(خمس درجات )**
**لأبي العباس عبد الله بن المعتز منزلة كبيرة بين البلاغيين العرب القدماء، وقد نال هذه المنزلة بسبب تأليفه لكتاب "البديع" ناقش هذا الأمر موضحا منهج المؤلف في كتابه، ومفصلا القول في أهم ما ورد في فصول الكتاب من فنون وقضايا بلاغية، مع إيراد تعليقك على الكتاب؟**

نموذج إجابة السؤال الأول

مما يمكن ملاحظته أن ابن المعتز له منزلة كبيرة ومكانة مرموقة بين البلاغيين، وذلك بتأليفه كتاب البديع، هذا الكتاب الذي عدد فيه أساليب البديع ومحاسن الشعر، وهو يعد الكتاب الأول في البلاغة العربية بالصحيح، وليس هذا الكتاب قاصرا على البديع بالمعنى الضيق المحدود، فابن المعتز يذكر فيه التشبيه والاستعارة وهما من صميم البيان العربي، ويذكر فيه الكناية غير أنه يريد بها المعنى اللغوي وهو أهم من المعنى الاصطلاحي المعروف، ومن ثم فإذا قنا إن ابن المعتز قد ألف في البيان فقد سرنا في الحق والتفكير السليم وإذا قلنا إنه ألف في البديع فقط، فهذا يعد تضييقا لدائرة البحث التي دار في فلكها الكتاب، ومن ثم فابن المعتز له كبير الأثر في البديع أو في البيان العربي ودراساته.

وقد درس ابن المعتز في هذا الكتاب ثمانية عشر فنا من فنون البلاغة، قسمها قسمين، خص قسما منها باسم البديع وقد اندرجت تحته فنون "الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد العجز على الصدر والمذهب الكلامي، وخص القسم الآخر باسم محاسن الكلام والشعر واندرجت تحته فنون "الالتفات والاعتراض والرجوع وحسن الخروج وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتجاهل العارف والهزل يراد به الجد وحسن التضمين والتعريض والكناية والإفراط في الصفة وحسن التشبيه ولزوم ما لا يلزم وحسن الابتداء" وفيما يلي تفصيلا عن بعض هذه الفنون التي تشكل في مجملها كتاب البديع لابن المعتز.

يبدأ ابن المعتز فنون البديع بباب الاستعارة حيث يعتمد اعتمادا كليا على إيراد الشواهد والأمثلة، ويعرفها من خلال قوله تعالى "وإنهُ في أُم الكتاب لدينا لعليٌّ حكيم"ويعلق عليها معرفا الاستعارة بقوله "وإنما هو استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها مثل أم الكتاب ومثل جناح الذل"ثم يأخذ في إيراد العديد والعديد من الأمثلة والشواهد على الاستعارة فمما أورده من كتاب الله قوله تعالى "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب". وقوله "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة". وقوله "واشتعل الرأس شيبا". وقوله "أو يأتيهم عذاب يوم عقيم". وقوله تعالى "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار"

وأورد من الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم "خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة طار إليها. وقوله ضموا ماشيتكم حتى تذهب فحمة العشاء.

وقولـه إنـا لا نقبـل زبـد المـشركين أي رفـدهم. وقـال صـلى الله عليـه رب تقبـل تـوبتي واغـسل حوبتي".

أما من الشعر فقد أورد كثيرا من الأبيات الشعرية التي توظف الاستعارة، ومن ذلك قول امرء القيس من الطويل

وليل كموج البحر أرخى سدوله... على بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبـــه وأردف أعجازا وناء بكلكل

وعلق عليه بقوله "هذا كله من الاستعارة لأن الليل لا صلب له ولا عجز"

والملاحظ أن ابن المعتز بدأ بالاستعارة واعتبرها أهم عناصر التجديد في الشعر وهو محق في هذا فالنقد والبلاغة وربما الشعراء العرب لم يعطوا الاستعارة حقها من الاهتمام في حين أسرفوا في العناية بالتشبيه، والاستعارة أقوى تكثيفا في الدلالة وأعمق في الغوص وراء الأفكار من التشبيه، ونستطيع أن نضيف إن هذا الاهتمام من ابن المعتز لم يلفت نظر الشعراء والدارسين إلى أهمية فن الاستعارة، كما يلاحظ أن ابن المعتز قد ساوى في عدد الأمثلة التي اختارها بين القديم والجديد، ولكنه اختار من القديم ما أعجبه، وكأنما لم تصدر عن هؤلاء القدماء استعارات غامضة أو فاسدة أو محرفة في حين اختار للمحدثين أمثلة من هذه النوعية.

كما اكتفي ابن المعتز بشرح بعض الاستعارات التي يعتقد أن إدراك وجه الحقيقة فيها يحتاج إلى جهد أو دقة نظر، ولكنه لم يهتم بأن يقسم هذه الاستعارات إلى أنواع ما بين استعارة تصريحية ومكنية أو استعارة أصلية وتبعية أو استعارة مرشحة وأخرى مجردة، وثالثة مطلقة، وما إلى ذلك من تقسيمات، لا نقول بأنها إسراف في التشقيق ومبالغة في اتباع اختلافات الصيغ دون أن يكون لهذا الاختلاف مردود حقيقي على الدلالة، وإنما نقول إنها انحرفت بالدرس البلاغي عن غايته الجالية، وأنها كشف روحي وفلسفي وعقلي، لتصبح نوعا من المهارة في توزيع الأنماط وكشف الألغاز.

كما أن الاستعارة تدرس حسب التقسيم الثلاثي لعلوم البلاغة ضمن مسائل علم البيان أي وسائل التصوير القائم على المجاز أو الاستخدام المجازي للغة.

أما الباب الثاني فقد جعله ابن المعتز للجناس، وعرفه بقوله "وهو أن تجيء الكلمة تُجانس أُخرى في بيت شعر وكلام ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها. وقال الخليل الجنسُ لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو فمنه ما تكون الكلمة تُجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها ويشتق منها"

ومثل له بقول الشاعر:

يومٌ خلجت على الخليج نفوسهم...

ومنه قوله تعالى "وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين". وقوله سبحانه "فأقم وجهك للدين القيم"

وعقد ابن المعتز الباب الثالث من البديع للمطابقة، ومنها قول الله تعالى "ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب. وقال رسول الله صلى الله عليه للأنصار إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع

أما الباب الرابع من البديع فهو رد أعجاز الكلام على ما تقدمها، وهو يرى أن هذا الباب ينقسم ثلاثة أقسام.

القسم الأول: فمن الباب ما يوافق آخر كلمة فيه أخر كلمة في نصفه الأول مثل قول الشاعر

تلقى إذا ما الأمر كان عرمرما... في جيش رأي لا يفل عرمرم

القسم الثاني: ما يوافق آخر كلمة منه أول كلمة في نصفه الأول كقوله

سريع إلى ابن العم يشتم عرضه... وليس إلى داعى الندى بسريع

القسم الثالث: ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه كقول الشاعر

عميد بني سليم أقصدته... سهام الموت وهي له سهام

وقول طفيل

محارمك أمنعها من القوم إنني... أرى حقبة قد ضاع فيها المحارم

أما الباب الخامس من البديع فهو ما يسمى المذهب الكلاميّ. ويذهب ابن المعتز إلى أن هذا الباب ليس فيه من القرآن شيئا، ويرى أنه باب ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.ولأهمية هذا الباب نورد تفصيل ما قاله ابن المعتز فيه قال أبو الدرداء إن أخوف ما أخاف عليكم أن يقال علمت فماذا علمت. وقال الفرزدق من الطويل

لكل امرءٍ نفسان نفس كريمةٌ... وأخرى يعاصيها الفتى ويطيعها

ونفسك من نفسيك تشفع للندى... إذا قل من أحرارهن شفيعها

وقد نسب ابن المعتز اكتشاف هذا الفن من فنون البديع إلى الجاحظ ولم يعرف المصطلح، وإن كان الكلام مقرونا بالمذهب يعني علم الكلام، وهو ما يقابل المنطق عند غير الإسلاميين، فالمذهب الكلامي إدخال المعاني الفلسفية وطريقة البرهنة والاحتجاج إلى الشعر أو إلى اللغة الفنية.

وقد كان موقف ابن المعتز في الجانب الآخر الذي يرى الشعر تصويرا وتخييلا وإيقاعا جميلا ومعاني قريبة تدخل إلى القلب قبل أن يتصورها العقل، ومن أجل هذا ألف "البديع" إنه يعتبر الفكرة الدقيقة، والبرهان المنطقي، والتفلسف ضروبا من التكلف، ولهذا قال ابن المعتز في صدر حديثه عن المذهب الكلامي أ،ه ينسب إلى التكلف وأنه ما وجد منه شيئا في كتاب الله، ويكشف أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين تناقض ابن المعتز في كلامه إذ كيف ينسب المذهب الكلامي إلى التكلف وفي نفس الوقت يعتبره من البديع، وربما يمكن رد كلام أبي هلال لأن البديع يعني المستحدث النادر الطريف وليس هذا الوصف يتضمن الحكم بجماله، وقد رأينا ابن المعتز يمثل للبديع المعيب في الفنون السابقة.

وبعد أن يختم ابن المعتز الأبواب الخمسة التي تخص البديع يردف ذلك بالقول " قد قدمنا أبواب البديع الخمسة وكمل عندنا وكأني بالمعاند المغرم بالاعتراض على الفضائل قد قال البديع أكثر من هذا وقال البديع باب أو بابان من الفنون الخمسة التي قدمناها فيقل من يحكم عليه لأن البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين وأول من نسخه مني علي بن هرون بن يحيى ابن أبي المنصور المنجم"

ثم ينتقل إلى القسم الثاني من الكتاب والذي عنونه بمحاسن الكلام والشعر، وهو يرى أن هذه المحاسن كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدعى الإحاطة بها حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره وأحببنا لذلك أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين ويعلم الناظر أنا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختبارا من غير جهل بمحاسن الكلام ولا ضيق في المعرفة فمن أحب أن يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا إلى البديع ولم يأتي غير رأينا فله اختياره.

وأول فن يدخل تحت هذا العنوان هو "الالتفات" ويعرفه بقوله " وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك من الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر.

ويمثل للالتفات بقوله تعالى " حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة. وقوله "إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ثم قال وبرزوا لله جميعا"

أما الفن الثاني فهو "الاعتراض" ويعرفه بقوله " اعتراض كلام في كلام لم يتمم معناه ثم يعود إليه فيتممه في بيت واحد" ومنه قول كثير:

لو أن الباخلين وأنت منهم... رأوك تعلموا منك المطالا

والفن الثالث هو الرجوع وهو أن يقول شيئا ويرجع عنه، ومنه قول الشاعر:

أليس قليلا نظرة إن نظرتها... إليك وكلا ليس منك قليل

والفن الذي يليه هو حسن الخروج من معنى إلى معنى، ومنه قول السموأل بن عادياء

وإنا لقوم ما نرى القتل سبة... إذا ما رأته عامر وسلول

أما الفن الذي يليه فهو تأكيد المدح بما يشبه الذم، ومنه قول الذبياني

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم... بهن فلول من قراع الكتائب

وكقول الجعدي

فتى كملت أخلاقه غير أنه... جواد فما يبقى من المال باقيا

والفن التالي: هو الهزل يراد به الجد ومنه قول أبو العتاهية:

أرقيك أرقيك بسم الله أرقيكا... من بخل نفس لعل الله يشفيكا

ما سلم نفسك إلا من يتاركها... وما عدوك إلا من يرجيكا

وقول أبو نواس

إذا ما تميمي أتاك مفاخرا... فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب

ومن هذه الفنون التعريض والكناية، ومنها قول أحدهم في حجام:

أبوك أب ما زال للناس موجعا... لأعناقهم نقر كما ينقر الصقر

إذا عوج الكتاب يوما سطورهم... فليس بمعوج له أبدا سطر

ومنها الإفراط في الصفة، ومنه قول إبراهيم ابن العباس الصولى

يا أخا لم أرفي الناس خلا... مثله أسرع هجرا و وصلا

كنت لى في صدر يومى صديقا... فعلى عهدك أمسيت أم لا

وقول آخر يهجو رجلا

تبكى السموات إذا ما دعاه... وتستعيذ الأرض من سجدته

إذا اشتهي يوما لحوم القطا... صرعها في الجو من نكهته

ومنها حسن التشبيه، ومنه قول امريء القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا... لدى وكرها العناب والحشف البالي

وقد أخذ ابن المعتز يورد عجائب التشبيه، وما يستحسن منه من خلال العديد من الأمثلة والشواهد الشعرية.

والفن التالي هو لزوم ما لا يلزم، ويرى أنه من إعنات الشاعر نفسه في القوافي وتكلفه من ذلك ما ليس له، ومنه قول الشاعر:

يقولون في البستان للعين لذةٌ... وفي الخمر والماء الذي غير آسن

فإن شئت أن تلقى المحاسن كلها... ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

أما الفن الأخير الذي تناوله ابن المعتز في هذه المحاسن، فهو حسن الابتداء، ومنه قول النابغة:

كليني لهمٍ يا أُميمة ناصب... وليلٍ أقاسيه بطئ الكواكبِ

**التعليق على الكتاب**

يعلق الدكتور بدوي طبانه في كتابه البيان العربي على كتاب البديع لابن المعتز بقوله "استعملت كلمة البديع في معناها الأدبي قبل ابن المعتز، فقد ذكرها الجاحظ حينما ذهب إلى أن البديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان، وذكره جماعة من الشعراء العباسيين اشتهروا بالبديع، ونسب هذه التسمية إلى الرواة، ويقال إن أول من أطلق كلمة البديع على محاسن الكلام وخصائص الأدب المميزة له الشاعر العباسي مسلم بن الوليد.

ومن ثم فليس لابن المعتز فضل على الإطلاق في هذه التسمية أو ذلك الإطلاق، ولكن يبدو فضله في أنه أول من جمع فنون البديع ووضحها، وأتى بشواهد لها من القرآن الكريم، وأحاديث النبي ومن روائع الأدب المنثور.

ولقد كان ما دفع ابن المعتز إلى تأليف هذا الكتاب هو تلك الخصومة بين القدامى والمحدثين أو بين أنصار القديم وأنصار الحديث، فكان الأولون يريدون أن القدماء قد سبقوا إلى وضع التقاليد الأدبية، فهم الذين وضعوا نظام الأوزان والقوافي في الشعر، وهم أصحاب المعاني والأخيلة، وهم أهل الفصاحة واللسان، وأن المحدثين عيال عليهم، يقتفون آثارهم

وينسجون على منوالهم، ولم يترك الأول للآخر شيئا، وذهب أنصار الحديث إلى أن المولدين هم أصحاب البديع ومخترعوه، وهم أهل الافتنان بتحلية الأدب وفنونه، فانبرى ابن المعتز يفند دعواهم، ويثبت أصالة العرب في البديع، وإن كان للمحدثين شيء من البديع فإنما هو مغالاتهم به وإسرافهم في استعماله، وفي مقدمة الكتاب نجد ابن المعتز قد نسب التسمية بالبديع إلى المحدثين، وفي موضع آخر يعرف البديع بأنه اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء والنقاد المتأدبين منهم، فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم، ولا يدرون ما هو.

ثم إن ابن المعتز قد قسم الكتاب قسمين الأول أطلق عليه البديع وجمع فيه فنونا خمسة والثاني أسماه محاسن الكلام وجمع فيه ثلاثة عشر فنا، وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال عن البديع ومحاسن الكلام، وعن الفرق بينهما، وإذا لم يكن هناك فارق فما العلة في فصل الفنون الخمسة عن بقية الفنون؟ ربما يقال إن فنون البديع الخمسة أكثر دورانا من محاسن الكلام في الأدب وأقدم استعمالا أو استخراجا، غير أن هذه علة غير سليمة، فإن في البديع فنونا قد تقل أهمية عن الأدباء من بعض فنون محاسن الكلام، فليس التجنيس ولا رد العجز على الصدر ولا المذهب الكلامي بأهم عندهم من التشبيه أ، الكناية، بل إن فن التشبيه يبدو أكثر استعمالا في أساليب الأدباء من أسلوب الاستعارة نفسها عند الأدباء قداماهم ومحدثيهم، وابن المعتز في محاسن الكلام يورد أمثلة لأكثر فنونها من القرآن الكريم ومن شعر الجاهليين وكلام المخضرمين والإسلاميين، ونحن نقرأ فيها آيات من القرآن وشعر لامريء القيس وزهير والأعشى والنابغة وحسان والفرزدق وجرير ورؤبة، كما نقرأ كثيرا من كلام المحدثين فيما مثل به ابن المعتز لفنون البديع.

ثم إن هذه الفنون قد استخرجها بعض الذين سبقوا ابن المعتز من المحدثين وجرت على ألسنتهم وفي كتاباتهم.

إذن فلابد أن تكون هناك علة أخرى في هذا الفصل بين الفنون، ويبدو أن هذه العلة تعود إلى أن ابن المعتز لم يؤلف كتابه في وقت واحد بل ألفه على مرحلتين، وقد أحصى في المرحلة الأولى الفنون الخمسة المذكورة في البديع، وبعد دراسة هذه الفنون وقف عندها وأنهي كتابه وكتب خاتمته التي اعتاد كثير من المؤلفين أن ينهوا كتابتهم بها، وهي "وألفته سنة كذا، وأول من نسخه فلان" وربما سمع ابن المعتز بعد ذلك من بعض النقاد والمتتبعين اعتراضا على قصر البديع على الفنون الخمسة، وأنهم يريدون البديع أكثر مما ذكر، فأقرهم على دعواهم، وكتب بقية المحسنات، وضمها إلى الفنون الخمسة، ربما لينفي عن نفسه مظنة الجهل بتلك البقية.

وكتاب البديع دراسة فنية لعناصر الجمال في الفن الأدبي جمع فيه محاسن الكلام التي ازدان بها كلام الفحول من الجاهليين والإسلاميين، ووردت في الكتاب الكريم، وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة والتابعين.

وقد كان مدلول البديع عند ابن المعتز عاما، فصفات الحسن وعناصر الجمال لا حدود لها، ولا فصل بين فنونها، ولم يكن ابن المعتز يعني من البديع أو يفهم منه ما فهمه البلاغيون المتأخرون من أنه العلم الذي يبحث في وجوه تحسن الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة على المعنى المراد، أي أنهم يجعلونه ترفا وشيئا في وسع الأديب أن يستغني عنه مع بقاء خصائص الفن الأدبي من الوضوح والقوة والجمال، وفاتهم أن الأدب فن أو صناعة وأن الفن مجال التأنق ومجال إظهار براعة الأديب في اختيار ألفاظه وتنسيقها ونظمها في وضع خاص يحدث جرسا موسيقيا أو قوة أو وضوحا وتوكيدا لمعانيه، ومبالغة في إبراز أفكاره التي يريد العبارة عنها، ومن هنا جمع ابن المعتز في البديع ومحاسن الكلام أصول علم البيان عند البلاغيين كالاستعارة والتشبيه والكناية والتعريض، كما اشتمل البديع على مباحث من علم المعاني كالالتفات والاعتراض، أما بقية الفنون فهي تخص علم البديع ذاته كالتجنيس ورد الأعجاز على الصدور والمذهب الكلامي والرجوع وحسن الخروج وغيرها.

وربما يبدو من حسنات الكتاب أنه لم يستحسن الفنون التي قدمها استحسانا مطلقا أو يرضاها على عللها، بل إنه قد أبان عن رأيه فيها، وعاب من استعمال الأدباء إياها ما رآه معيبا وما رآه ظاهر التكلف، فكان كتابه كتاب بلاغة يوضح فنونها وفي الوقت ذاته كتاب نقد يوضح عيوبها، ولو أن علماء البلاغة ورجال البديع تنبهوا إلى ما تنبه إليه ابن المعتز لما كان ذلك التكلف الذي طغى على الأدب عصورا طويلة، ذلك التكلف الذي نفر الناس من الصناعة التي هي مظهر الفنية في العبارة، وكانت الإجادة فيها مجال التفاوت بين الأدباء.

وبذلك رسم ابن المعتز منهج البديع أو وسائل تحسين الأسلوب الأدبي ومهد السبيل لكثير من العلماء الذين خاضوا بحار الصنعة، واستخلصوا فنونا بيانية لا يكاد يدركها الحصر، ونبهوا إلى شيء من آثار تلك الفنون في تجميل الأساليب وفي توضيح المعاني، لأن صنوف الجمال البياني لا يكاد يدركها الحصر ولا يمكن أن يدعي عالم الإحاطة بها دون أن يشذ منها عن علمه وذكره.

أما الدكتور محمد حسن عبد الله فيرى أنه يمكن اعتبار كتاب البديع البداية الثانية للاهتمام بالبلاغة بعد الجاحظ، والمحاولة المنهجية الأولى غير المسبوقة، لأن ابن المعتز خصصه لقضايا البلاغة وحدها وأقام تقسيمه لمادة الكتاب على أساس المصطلح البلاغي وحده.

إن ابن المعتز حين سمى كتابه البديع لم يقصد ما نريده الآن حين نستخدم هذا المصطلح، فالبديع في اصطلاحنا الآني أحد العلوم الثلاثة التي يتكون منها علم البلاغة "المعاني والبيان والبديع" عرف بأنه النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق، ومن ثم فالبديع هو المبتكر الجديد وفي الأسلوب هو مبتكر بقصد التحسين ولكن التحسين الأسلوبي الذي أراده ابن المعتز وجود مظاهره ومصطلحاته، غير تلك المسائل التي نجدها الآن تحت عنوان البديع.

كما أن كتاب البديع يعد مساهمة بلاغية في قضية الصراع بين القديم كما يمثله البحتري وجماعة المقلدين، والجديد كما يمثله أبو تمام ومن سبقه وعاصره ممن خرجوا على أسس الشعر القديم وتجاوبوا مع طبائع عصرهم وبالغوا في التعقيد والتفلسف وهذا ما رفضه ابن المعتز فمساهمته البلاغية تنتهي إلى إعلان موقف وهو ان التحسين الأسلوبي عرفه القدماء واستخدموه على ندرة فجاء لافتا مقبولا وجميلا، أما حين يسرف الشاعر في استخدامه فإنه ينتقل إلى الجانب الآخر وتلك عقبى الإفراط.

لقد رتب ابن المعتز مرجعيته العلمية ترتيبا فنيا ثم تاريخيا فالقرآن الكريم أرفع الأساليب يليه الحديث النبوي ثم يعود إلى الترتيب التاريخي لعصور الأدب الجاهلي فالإسلامي فالعباسي متدرجا إلى عصر أبي تمام، فإذا بلغ أشعار المحدثين وضع أمامنا بعض الجيد وبعض الرديء ليبرهن على سلامة رؤيته.

**ملاحظ (يمكن الاكتفاء بشاهدين فقط في كل فن من الفنون الواردة في الإجابة)**

**السؤال الثاني: ( خمس درجات)**

**تعد قضية الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم من القضايا التي فرضت نفسها على الساحة البلاغية العربية في طور النشأة والتأصيل، ناقش هذه القضية من خلال تقديم عرض لجهود علي بن عيسى الرماني في هذا المجال؟ موضحا رأيك فيما قدم من جهود؟**

## نموذج الإجابة

*الرماني وإعجاز القرآن

وبلاغة القرآن هي موضوع علي بن عيسى الرماني من القرن الرابع أيضا في رسالته (النكت في إعجاز القرآن ) مهد لها بسرد مذاهب القوم في وجوه سبعه للإعجاز ثم تفرغ للنظر في إعجازه من جهة البلاغة.

والبلاغة عنده على ثلاث طبقات عليا ووسطى ودنيا فما كان أعلاها طبقة فهو معجز وهو بلاغة القرآن وما كان دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البغاء من الناس.

خلافا لما ذهب إليه أبو سليمان الخطابي من أن بلاغة القرآن تحوز هذه البلاغات في طبقاتها الثلاث.

وليست البلاغة عند الرماني في إفهام المعنى؛ لأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحداهما بليغ والآخر عيي، ولا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى؛ لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ونافر متكلف، وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، فأعلاها طبقة في الحُسن بلاغة القرآن وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة.

ثم كان منهجه في بيان إعجاز القرآن من جهة البلاغة أن جعل البلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان.

وعقد لكل باب منها فصلا يبدأ بتعريف الباب ثم يقدم شواهد قرآنية منه، ففي باب الإيجاز مثلا يبدأ فيعرفه بأنه تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى وهو على وجهين إيجاز حذف وإيجاز قصر، فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف.

ثم يقدم من شواهد الحذف:

(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ) (لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى) (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ)( طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ)

ومنه حذف الأجوبة وهو أبلغ من الذكر وما جاء منه في القرآن كثير كقوله جل ثناؤه (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) كأنه قيل لكان هذا القرآن، ومنه (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) كأنه قيل: حصل على النعيم المقيم الذي لا يشوبه التنغيص والتكدير.

وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر؛ لأن النفس تذهب فيه كل مذهب ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان.

وأما الإيجاز بالقصر دون الحذف فهو أغمض من الحذف، وإن كان الحذف غامضا للحاجة إلى العلم بالمواضع التي يصلح فيها من المواضع التي لا يصلح فمن ذلك:

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ
يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ
إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ
وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ

واستطرد الرماني إلى بيان وجه الإعجاز بإيجاز القصر في قوله تعالى (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حياة) عن طريق المقارنة بينها وبين ما استحسنه الناس من الإيجاز في قولهم" القتل أنفي للقتل " فذكر أن التفاوت بينهما يظهر من أربعة أوجه:

- أن العبارة القرآنية أكثر فائدة ففيها كل ما في قولهم القتل أنفي للقتل مع زيادة معان حسنه منها إبانة العدل لذكره القصاص وإبانة الغرض المرغوب فيه لذكره الحياة والاستدعاء بالرغبة والرهبة لحكم الله.
- الإيجاز في العبارة فعدد حروف " القتل أنفي للقتل " أربعة عشر حرفا

وقوله تعالى ( القصاص حياة ) عشرة أحرف:

- البعد عن التكلف بالتكرير الذي فيه على النفس مشقة ففي قوله " القتل أنفي للقتل " تكرير غيره أبلغ منه ومتى كان التكرير كذلك فهو مقصر في البلاغة عن أعلى طبقة
- العبارة القرآنية أحسن تأليفا بالحروف المتلائمة يدرك بالحس ويوجد في اللفظ فإن الخروج من الفاء إلى اللام – في القصاص – أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة في القتل أنفي – لبعد الهمزة من اللام وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام.

فباجتماع الأمور التي ذكرناها صار( القصاص حياة) أبلغ من( القتل أنفي للقتل ) وإن الإيجاز ومسالكه ومراتبه من حيث كانت المعرفة بها " سبيلا إلى معرفة فضيلة ما جاء في القرآن منه على سائر الكلام وعلوه على غيره من أنواع البيان وختم الباب بقوله:

" الإيجاز تهذيب الكلام بما يحسن به البيان والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الدرن والإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ والإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير.

وعلى هذا النهج سار الرماني في الأبواب الأخرى التسعة للبلاغة عنده وقد تمهلت في الوقوف عنده دون ضجر بنقل ما نقلت منه؛ لأني أقدر أن الرماني قدم في النكت محاولة جليلة من المحاولات الرائدة في التصنيف البلاغي وتنسيق أبواب ومصطلحات فيه، كما أردت أن ألفت إلى كونه لم يخرج لكل باب شواهده القرآنية وأن يلمح بذوق مرهف ما فيها من نكت بلاغية.

وهذا ما نفتقده في أكثر الكتب التي تناولت إعجاز القرآن من جهة البلاغة بعد الرماني فنرى الباقلاني مثلا في كتابه عن الدراسة القرآنية إلى دراسات للشعر، ونرى عبد القاهر يستكثر في الدلائل من الاستشهاد بالشعر وقلما يأتي بشواهد قرآنية تجلو الملحظ البلاغي وهذا هو ما غلب على جمهرة المصنفين من البلاغيين فيما عدا قلة منهم جعلت للشواهد القرآنية المكان الأول في مباحثها البلاغية كابن أبي الأصبع المصري – في القرن السابع – الذي سار في ( بديع القرآن ) على نهج الرماني في تقديم الشاهد القرآني.

ونرجئ التعرض لرأي الرماني في بلاغة اللفظ والمعنى إلى حيث يتسع المجال لمثل هذا في" مذهب النظم للجرجانى "

ونتابع خطوات السلف على الطريق انطلاقا من هذه الخطوة الرائدة التي وصل إليها جهد الرماني في دراسته البلاغية للقرآن، وقد بدا فيها واضح الفكرة والمنهج لم تختلط عنده بالجدل الكلامي ولا شغل عنها بالنظرة في هذيان مدعى معارضة القرآن.